

هجرة الإياب : أنماطها، تفسيرها ومجالاتها

إبراهيم محمد العبيدي

أستاذ مساعد، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٤٠٩/٣/١٥هـ وقبل للنشر بتاريخ ١٤٠٩/٩/٢هـ)

ملخص البحث: تتناول هذه الدراسة ظاهرة هجرة الإياب كنمط من أنماط الحراك السكاني والذي لم يلق اهتماماً من الباحثين الاجتماعيين نتيجة لصعوبة الحصول على البيانات اللازمة لدراستها، وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بظاهرة هجرة الإياب من خلال تحديد مفهومها واستعراض المجالات النظرية والميدانية ومناقشة بعض نتائجها واهتماماتها، وأخيراً رصد مجالات الدراسة لظاهرة هجرة الإياب والذي يوضح أهميتها ومدى الحاجة للبحوث الميدانية التي تتناول الأبعاد المختلفة لهذه الظاهرة.

تمهيد

لم تلق هجرة الإياب return migration كنمط من أنماط الهجرة اهتماماً من الباحثين المهتمين بظاهرة الهجرة مقارنة بما تحظى به أنماط الهجرة الأخرى بالرغم من أهمية دراسة هذا النمط من الحراك السكاني والذي قد يثير تساؤلات مهمة جداً يمكن أن تلقي الضوء لفهم ظاهرة الهجرة بوجه خاص والحراك السكاني بوجه عام. ومن سوء الحظ أن الدراسات التي تناولت هجرة الإياب ما زالت تتعثر حتى الآن نظراً لقلّة المعلومات المتوافرة عن هذه الظاهرة ونجد دولاً قليلة جداً ممن يضمن استمارة تعداد السكان أسئلة عن هجرة الإياب. ويعزو جولدز شيدر Goldscheider السبب في قلة بحوث هجرة الإياب إلى الاعتقاد السائد بأن الهجرة إنما هي حراك سكاني بين موقعين جغرافيين، ويضيف «أن معظم الدراسات التي تناولت ظاهرة

الهجرة ترتكز على نموذج الدفع والجذب push-pull model والذي يفترض أن هناك عوامل محددة في المنطقة تدفع الناس للهجرة منها وهناك عوامل محددة في منطقة الاستقطاب تجذب المهاجرين إليها^(١). وترى لي Lee^(٢) أن السبب لقلّة الاهتمام بدراسة هجرة الإياب أن المهاجرين العائدين تمثل نسبة ضئيلة من مجموع السكان، ففي الولايات المتحدة خلال ١٩٦٠م و ١٩٧٠م وجد أن نسبة العائدين ممن تبلغ أعمارهم خمس سنوات أو أكثر لا تتجاوز ٢٪ خلال الخمس سنوات التي سبقت التعداد السكاني.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعريف بظاهرة هجرة الإياب وبيان أهميتها من خلال عرض بعض المحاولات النظرية والبحوث الميدانية التي أسهمت في إلقاء الضوء على هذه الظاهرة، كما تهدف هذه الدراسة إلى التعريف ببعض مجالات هجرة الإياب والتي تمثل مجالاً بكرةً وخصباً للبحث والتقصي.

تعريف هجرة الإياب

يعرف دافانزو و موريسون هجرة الإياب بأنها «عودة الأفراد إلى الأماكن أو المناطق التي سبق وأن عاشوا فيها»، هذا التعريف بطبيعة الحال يتضمن العودة إلى المناطق التي ولد ونشأ فيها الفرد كما تتضمن أيضاً المناطق الأخرى التي سبق له العيش فيها.^(٣) ويميز جولدز شيدر Goldscheider بين الهجرة العكسية وهجرة الإياب بقوله «إن هذين النمطين من الحراك السكاني ليسا بالضرورة مفهومين مترادفين، ففي بعض الأوقات تكون الهجرة العكسية كلياً عبارة عن هجرة إياب وفي حالات أخرى ربما تحتوي الهجرة العكسية نسبة صغيرة من المهاجرين العائدين أو لا تتضمن أي نسبة منهم على الإطلاق.^(٤)»

(١) S. Goldscheider, *Population, Modernization and Structure* (Boston: Little, Brown and Co., 1971). p. 53.

(٢) E. S. Lee, "Return Migration in the United States," *International Migration Review*, 8 (1974). 283-84

(٣) J. DaVanzo, and P. Morrison, *Dynamic of Return Migration: Descriptive Findings from a Longitudinal Study* (Santa Monica: The Rand Corporation, 1978), p. 1.

(٤) Goldscheider, p. 33.

وهجرة الإياب قد تكون حراكًا سكانيًا داخليًا حينها تكون الهجرة داخل الوطن الواحد ويمكن أن تكون هجرة دولية حينها تكون الهجرة من دولة إلى أخرى.

الأطر النظرية لهجرة الإياب

بما لا شك فيه أن معظم الأطر النظرية التي حاولت تفسير ظاهرة الهجرة مثل Lee's Theory of Migration و Mangalam's Model لم تعط ظاهرة هجرة الإياب إهتماماً كما أنه لا يمكن بشكل مباشر استخدامها في تفسير ظاهرة هجرة الإياب، وتشير دافانزو Davanzo إلى أن هناك بعض الدراسات الوصفية المتميزة التي تناولت ظاهرة هجرة الإياب والتي تؤكد أن ميول المهاجرين العائدين تختلف باختلاف خصائصهم الديموغرافية مثل العمر والجنس والعرق كما تختلف باختلاف المناطق الجغرافية، غير أن معظم البحوث التي تناولت ظاهرة هجرة الإياب لم تستند إلى أطر نظرية في تحليل هذه الظاهرة، وتضيف «من منطلق افتراضي فإن المهاجر العائد والمهاجر غير العائد يختلفان في استجابتهما للعوامل المؤثرة في الهجرة بشكل عام. فهجرة الإياب قد تتبع الهجرة المؤقتة أو تنتج بسبب ما يواجهه المهاجر من إحباطات وفشل في المنطقة التي هاجر إليها.»^(٥)

في محاولة لتصنيف هجرة الإياب توصل سيراس^(٦) Cerase من خلال دراسته لظاهرة عودة المهاجرين الطليان من الولايات المتحدة الأمريكية إلى جنوب إيطاليا إلى أربعة أنماط من هجرة الإياب، ومع أن هذا التصنيف ينطبق على المهاجرين الطليان إلا أنه في الحقيقة يمكن أن ينسحب على ظاهرة هجرة الإياب بشكل عام وخاصة هجرة الإياب الدولية ينسحب بصورة أدق في الحالات التي تكون الهجرة فيها من المناطق النامية إلى المناطق الأكثر تقدماً. ويرى أن هجرة الإياب يمكن أن تصنف إلى أربعة أصناف كما يلي:^(٧)

(٥) DaVanzo, "Differences between Return and Nonreturn Migration: An Econometric Analysis," *International Migration Review*, 10 (1976), p.13.

(٦) F. P. Cerase, "Expectations and Reality: A Case Study of Return Migration from the United States to Southern Italy," *International Migration Review*, 8 (1974), 245-62.

(٧) Cerase, 251-59.

١ - إياب الفشل return of failure

ويتضمن هذا النوع من الهجرة أولئك المهاجرين الذين لم يمكثوا في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من سنتين، وتمتاز حياة هذه الفئة من المهاجرين بالمعاناة في العديد من النواحي الحياتية، فإذا استطاعوا الحصول على عمل ما فإنهم غالباً ما يمتنون الأعمال الحرفية والتي لا يميلون لها أصلاً، كما تضطربهم الظروف إلى قبول السكن غير الملائم، وتتصف أحاسيس هذه الفئة، بعد رجوعها إلى الوطن الأصلي، نتيجة لخبراتهم في أمريكا بمزيج من الحسرة على الفرصة التي أتاحت لهم وما فقدوه من آمال، وتعاني هذه الفئة بعد رجوعها حياة شاقة كما يزاولون ما يتاح لهم من أعمال، ومهما تكن اتجاهاتهم نحو موطنهم فإن الخبرات التي مروا بها خلال هجرتهم قد أثرت في هذه الاتجاهات وفي مفهوم انتمائهم. إن هذه الفئة من المهاجرين العائدين قد فشلوا في الانطلاق في مجتمعهم الجديد والأكثر أهمية الفشل الذي واجهوه في تحقيق توقعاتهم من المكاسب التي سوف ينالونها من هجرتهم.

٢ - إياب المحافظة return of conservatism

ويتصف من ينضوون تحت هذا النمط من المهاجرين بالعزلة في الوطن الجديد كما يتصفون بقرارهم المسبق في العودة إلى الوطن الأصلي بعد جمع مبلغ من المال يكفي لشراء قطعة أرض زراعية في موطنهم الأصلي، وتمتحن هذه الفئة غالباً الأعمال الزراعية، ويتطلب تحقيق طموحاتهم العمل المضمني لعدد من السنوات، وبالرغم من إقامتهم الطويلة خارج موطنهم إلا أنه عادة ما تتخلل هذه الإقامة زيارات متقطعة إلى موطنهم الأصلي. وتزاول هذه الفئة بعد عودتها لموطنها الأصلي حرفة الزراعة ونادراً ما يختلفون عن الفلاحين الآخرين في طريقة إدارتهم لمزارعهم أو ما يزرعون من محاصيل. وتتصف هذه الفئة بعدم فعاليتها السياسية وعدم الانخراط في الجمعيات الزراعية أو النوادي كما يميلون إلى الحياة الهادئة المستقرة وغالباً ما يشعرون بانفصامهم من مجتمعهم المحلي كما ينظر إليهم الآخرون على أنهم «أمريكان»، ويسود عندهم الاعتقاد بأن أمريكا هي أرض الفرص لمن يريد أن يعمل، وتعتبر هذه الفئة من المهاجرين وما يعودون به مما وفروه من أموال مصدراً رئيساً لاستمرار الحياة في القرى التي ينتسبون إليها.

٣ - إياب التقاعد return of retirement

وتعود هذه الفئة لقضاء فترة التقاعد في موطنهم الأصلي وتبرر عودتها إلى إيطاليا من منطلق أن أمريكا ليست البلد الملائم لكبار السن كما أن صحتهم ليست جيدة كما أن معاش التقاعد الذي يتقاضونه يتيح لهم حياة أفضل في إيطاليا منه في الولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك فإنه في الغالب ليس هناك روابط أسرية تربطهم بأمريكا، وهذه الفئة من العائدين غالباً ما يكونون قد مارسوا نشاطات مختلفة في أمريكا كالأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما أن بعضهم قد انخرط في المجال العسكري. وبالرغم من أن بعضهم يعود ليعمل في المجال الزراعي إلا أن مثل هذا العمل لم يكن الدافع إلى العودة إلى موطنهم الأصلي، وتتصف أغلبية هذه الفئة بالرضى عن حياتهم في موطنهم الأصلي بعد عودتهم.

٤ - إياب التجديد return of innovation

وتتصف هذه الفئة من المهاجرين العائدين بتوقعاتهم بما أن ما يحملون من أفكار جديدة ستواجه معارضة المصالح الثابتة وطرق التفكير التقليدية ونزعة هؤلاء المهاجرين في النظر إلى كل الأشياء من منطلق كفاءتها يجعلهم يتخيلون أنفسهم المنتصرين في نهاية هذه المواجهة لأنهم يعتبرون أنفسهم مجددين، غير أن الحوادث تثبت خطأهم فيصابون في النهاية بخيبة الأمل. وهناك عاملان مهمان فيما يواجه هؤلاء من الفشل في تحقيق طموحاتهم. العامل الأول هو اقتصاد القرية أو المنطقة التي يعودون إليها، العامل الثاني هو نمط توزيع السلطة بين مختلف الطبقات في المجتمع المحلي.

وبالرغم من أن هذا التصنيف قد استخلص من تجربة المهاجرين الطليان إلا أنه يمكن أن ينسحب على كثير من الجنسيات الأخرى، وفي العالم العربي يمكن أن يختبر هذا التصنيف في دراسة هجرة الإياب بين الدول المستقطبة والدول المرسل.

ويقسم ثوملينسون Thomlinson المهاجرين العائدين إلى ثلاثة مجموعات هي :

١ - أشباه المهاجرين quasi migrants وهم الذين قد بيتوا النية في العودة إلى موطنهم الأصلي، وتهاجر هذه الفئة من أجل المغامرة أو لكسب يمكنهم من شراء أرض زراعية في

موطنهم، وتتصف هذه الفئة بصغر سنها وعدم ارتباطاتها الأسرية، وغالبًا ما تكون هذه الهجرة من المناطق النامية إلى المناطق المتطورة.

٢ - المجموعة الثانية وهي التي تهاجر وفي نيتها البقاء في الموطن الجديد ولكنها تغير هذا القرار وتعود أدرجها إلى موطنها الأصلي وتعزى عودة هؤلاء المهاجرين إلى الإحباط الذي تواجهه في الموطن الجديد.

٣ - المجموعة الثالثة وهم المهاجرون المتنقلون وهم الذي اعتادوا التنقل بين مكانين أو أكثر دون أن يقطنوا بشكل دائم أي من هذه المناطق، وتبدو هذه المجموعة من صغار السن ممن يبحثون عن أعمال أو لتغيير مهنتهم كما تبدو هذه المجموعة بأنها راضية عن هذا النمط من الحياة. (٨)

ومن أهم المحاولات لصياغة إطار نظري لتفسير ظاهرة هجرة الإياب هي المحاولات التي قامت بها دافانزو، (٩) والتي تنظر إلى الهجرة على أنها توظيف للرأس المال البشري من حيث إن الناس عادة ما يقومون بإيجابيات وسلبيات قرارهم للهجرة كما يرونه مستفيدين مما لديهم من معرفة عن كل من الموطن الأصلي والموطن الذي يزمعون الهجرة إليه. والقضية التي تثيرها دافانزو في دراسة هجرة الإياب هي كيف نفسر رجوع بعض المهاجرين إلى أماكن سبق وأن قرروا تركها.

يرتكز إطار دافانزو النظري على مفهومين غاية في الأهمية لتفسير ظاهرة هجرة الإياب:

الأول هو الرأس المال المكانية location-specific capital والآخر مفهوم المعلومات المنقوصة imperfect information. (١٠)

(٨) R. Thomlinson, *Population Dynamics* (New York: Random House 1976), p. 271.

(٩) انظر: DaVanzo "Differences"; DaVanzo and Morrison.

(١٠) J. DaVanzo, "Microeconomic Approaches to Studying Migration" in *Migration Decision Making*, ed. G.F. DeJong & R. W. Gardner (New York: Pergamon Press, 1981), pp. 15-16.

ويشمل الرأسمال ذو الصيغة المكانية كل العوامل التي تربط الفرد بمكان ما سواء كانت ميزات اقتصادية أو غير اقتصادية نحو الدخل والأقرباء والأصدقاء وغيرها والتي يمكن أن يفقدها الفرد برحيله، ومن خلال هذا المفهوم تتقدم دافانزو بافتراضين لتفسير ظاهرة هجرة الإياب:

١ - عندما يقرر المهاجر ترك المنطقة التي هاجر إليها غالباً ما يفضل الهجرة إلى بعض المناطق التي سبق وأن عاش فيها والسبب في ذلك يعود إلى المصادر المرتبطة ببعض تلك الأماكن وتغري المهاجر العائد للمناطق التي يعتقد أنه خلف وراءه فيها أكبر قدر من المصادر.

٢ - كلما زادت مدة الغياب عن الوطن الأصلي قل احتمال العودة إليه، ويعود ذلك إلى أن المصادر في الوطن الأصلي تقل قيمتها كلما تطاول عليها الأمد.

أما فيما يتعلق بمفهوم المعلومات المنقوصة فترى دافانزو أن الهجرة في بعض الأحيان تصبح توظيفاً غير سليم للرأسمال البشري، فقد يبالغ الفرد في المزايا التي سوف يحصل عليها بهجرته إلى مكان آخر، فمفهوم المعلومات المنقوصة يمكن أن يوظف في تفسير هجرة الإياب من كونها - أي هجرة الإياب - عملاً تصحيحياً والتي عادة ما تستند على ما لدى الفرد من معلومات صحيحة عن المناطق المألوفة. (١١)

وتقدم دافانزو افتراضاً آخر حيث ترى «أن أي إنتقال يتبعه عادة تعلم من خلال التجربة» فإذا كان هذا الانتقال غير موفق فإن الفرد الذي يمر بهذه التجربة إذا ما قرر أن يهاجر مرة أخرى فإن الدافع إلى ذلك هو الأمل في استعادة مستوى معيشة معين وذلك عن طريق العودة إلى المنطقة التي هاجر منها عوضاً من خطوة جريئة إلى المجهول قد تعرضه إلى فشل آخر، وبعد العودة إلى المنطقة الأصلية يصبح ذلك الفرد أقل رغبة في الهجرة من جديد. (١٢)

(١١) DaVanzo & Morrison, p. 9.

(١٢) Da Vanzo, "Microeconomic Approaches," 90-129.

وتؤكد دراسة دافانزو وموريسون صحة هذه الافتراضات، فبالنسبة للفرضية الأولى «عندما يقرر المهاجر ترك المنطقة التي هاجر إليها غالباً ما يفضل الهجرة إلى بعض المناطق التي سبق وأن عاش فيها» لقد وجدوا أن ٣٧٪ من المهاجرين للمرة الثانية يهاجرون إلى مناطق سبق لهم العيش فيها، منهم ٧٦٪ يعودون إلى مناطقهم الأصلية^(١٣) أما بالنسبة للفرضية الثانية «كلما زادت مدة الغياب عن الوطن السابق قل احتمال العودة إليه» لقد وجدوا أن النزعة إلى العودة للمناطق التي سبق للفرد العيش فيها تضعف كلما تطاولت فترة الغياب ولكنها دائماً أعلى للعودة إلى المنطقة الأصلية، فبين من أمضوا سنة واحدة فقط فإن نسبة العائدين إلى مناطق سبق وأن عاشوا فيها بلغت ٩, ٦٪، بينما لا تتجاوز هذه النسبة ٣, ١٪ بين من أمضوا أربع سنوات، وعند المقارنة بين من يعودون إلى مناطقهم الأصلية ومن يعودون إلى مناطق سبق وأن عاشوا فيها نجد أن نسبة من يعودون للمنطقة الأصلية خلال السنة الأولى تتجاوز ١٦٪ مقارنة بـ ٦٪ بين من أمضوا أربع سنوات؛ أما بين من يعودون إلى مناطق سبق وأن عاشوا فيها نجد أن النسبة لا تتجاوز ٥٪ خلال السنة الأولى و ٣٪ بين من أمضوا أربع سنوات.^(١٤) وتدلل هذه النتيجة على أنه بغض النظر عن المنطقة التي يعود إليها المهاجر — سواء إحدى المناطق التي سبق له العيش فيها أو منطقتهم الأصلية — فإن احتمال العودة ترتبط عكسياً بمدة الغياب.

كما تؤكد دراسة دافانزو وموريسون من أن المهاجرين العائدين بعد فترة وجيزة أقل قدرة على استخدام المعلومات المتوافرة بطريقة فعّالة، وهم إلى جانب ذلك أقل في المستوى التعليمي والمهني وفي القدرة على التخطيط المتقن، ومثل هؤلاء يعتمدون في قرارهم للهجرة للمرة الأولى على معلومات محدودة وخاطئة.^(١٥)

الدراسات السابقة لهجرة الإياب : الاهتمامات والنتائج

معظم الدراسات التي تناولت هجرة الإياب قد ركزت اهتمامها على سمات المهاجرين العائدين الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية. ففي دراسة Lee تناولت الباحثة

DaVanzo & Morrison, table 2. (١٣)

DaVanzo & Morrison, Fig. 1. (١٤)

DaVanzo & Morrison, p. 39. (١٥)

الخصائص الديموغرافية للمهاجرين العائدين في الولايات المتحدة الأمريكية، (١٦) وفي دراسة سيراس Cerase كان الاهتمام منصباً على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية للمهاجرين العائدين من الولايات المتحدة إلى جنوب إيطاليا. (١٧) كما كان اهتمام سانديز Sandis منصباً على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية للمهاجرين العائدين من الولايات المتحدة إلى برتوريكو، (١٨) وتناول دراسة دافانزو وموريسون Davanzo and Morrison الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والشخصية للمهاجرين العائدين داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وتمتاز هذه الدراسة بإعطاء الخصائص الشخصية والاتجاهات شيئاً من الاهتمام، كما أنها من أهم الدراسات التي تناولت هجرة الإياب من ناحية إضافة العديد من المتغيرات والتي أهملتها الدراسات السابقة بالإضافة إلى ارتكازها على إطار نظري لتفسير ظاهرة هجرة الإياب. (١٩) أما دراسة جليزر وهيرز Glaser and Habers فقد تناولت المهاجرين العائدين من أصحاب المهن من بعض الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وكندا إلى بعض الدول النامية كالهند والبرازيل وكوريا ومصر وغانا وغيرها، (٢٠) ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الدراسة قد اهتمت بنمط واحد من المهاجرين العائدين وهم الذين هاجروا من مناطقهم الأصلية لمواصلة دراستهم؛ أما دراسة فنديركامب Vanderkamp فقد تناولت الآثار المرتبطة بهجرة الإياب. (٢١)

تشير نتائج هذه الدراسات إلى أن المهاجرين العائدين يختلفون عن المهاجرين غير العائدين وعن غير المهاجرين في كثير من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والشخصية.

Lee, pp. 283-300. (١٦)

Cerase, pp. 245-62. (١٧)

E. Sandis, "Characteristics of Puerto Rican Migrants to and from United States," *International Migration Review*, 4 (1970), 22-43. (١٨)

DaVanzo & Morrison, pp. 39-41. (١٩)

W. Glaser and G. Habers, "The Migration and Return of Professionals," *International Migration Review* 8 (1974), 227-44. (٢٠)

J. Vanderkamp, "Migration Flows, Their Determinants and the Effects of Return Migration," *Journal of Political Economy*, 79 (1971), 1012-32. (٢١)

وفي دراسة دافانزو وموريسون وُجد أن المهاجرين العائدين يختلفون عن المهاجرين في متوسط العمر، فمتوسط العمر لدى العائدين يبلغ حوالي ٢٩ سنة بينما متوسط عمر غير العائدين يبلغ حوالي ٣٤ سنة، (٢٢) كما وجدت لي Lee أن هناك فروقا بين المهاجرين العائدين في العمر باختلاف الجنس حيث وجد نسبة المهاجرين العائدين بين الإناث أعلى بين سن ١٥ إلى ٢٤ سنة؛ أما بين الذكور فترتفع نسبة العائدين بين العمر ٢٥ إلى ٢٩ سنة. (٢٣)

أما بالنسبة للمستوى التعليمي فتشير دراسة دافانزو وموريسون إلى أن هناك فروقا في المستوى التعليمي بين المهاجرين العائدين وغير العائدين وهذه الفروق تبدو واضحة خلال السنة الأولى من الهجرة، فالمهاجرون العائدون خلال السنة الأولى أقل تعليماً من المهاجرين غير العائدين، غير أن هذه الفروق تضحل إلى درجة كبيرة بين المهاجرين العائدين وغير العائدين الذين تتراوح إقامتهم بين سنتين وست سنوات. (٢٤) وتشير دراسة سانديز إلى أن المستوى التعليمي أعلى بين المهاجرين العائدين منه عند المهاجرين غير العائدين. (٢٥) وتشير دراسة لونج وهانسين Long and Hansen لعودة الأمريكيين السود إلى ولايات الجنوب إلى ارتفاع المستوى التعليمي بين العائدين وانخفاضه عند غير العائدين، فنسبة من عادوا من ذوي المستوى التعليمي المتدني لا يتجاوز ٣٧/١٠٠٠ بينما ترتفع النسبة إلى ١٣٠/١٠٠٠ بين من أمهوا ٤ سنوات جامعية أو أكثر. (٢٦)

تشير معظم الدراسات التي تناولت هجرة الإياب إلى أن معظم المهاجرين العائدين من ذوي المهارات المنخفضة كما تؤكد ذلك دراسة (Sandis, 1970) وكذلك دراسة (Davanzo)

(٢٢) DaVanzo & Morrison, pp. 26-27.

(٢٣) Lee, p. 286.

(٢٤) DaVanzo & Morrison, p. 27.

(٢٥) Sandis, p. 34.

(٢٦) L. Long & K. Hansen, "Selectivity of Black Return Migration to South," *Rural Sociology*, 42 (١٩٧٧), 321.

(Morrison, 1978) والتي تؤكد على ارتفاع نسبة أصحاب المهن والمدراء بين المهاجرين غير العائدين منه عند المهاجرين العائدين .

إلى جانب الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية فقد تناولت دراسة دافانزو وموريسون الجوانب الشخصية والاتجاهات للمهاجرين العائدين وغير العائدين، وتشير نتائج هذه الدراسة في هذا الخصوص إلى أن المهاجرين العائدين يختلفون في بعض الجوانب الشخصية عن المهاجرين غير العائدين، حيث يتصف قرار الهجرة بين المهاجرين الذين عادوا خلال السنة الأولى بالعجلة وعدم التروي وفي حالات كثيرة كان قرار الهجرة استجابة لمشكلات البطالة التي تواجههم بينما يتصف قرار الهجرة بين المهاجرين الذين أمضوا سنتين أو أكثر بالتروي . وتؤكد هذه الدراسة أيضاً أن العائدين خلال السنة الأولى قد حصلوا على درجات منخفضة على مقياس الفعالية index of efficacy وكذلك على مقياس الحذر index of risk avoidance (٢٧)

دراسة هجرة الإياب في العالم العربي

على الرغم من الحراك السكاني داخل الوطن العربي وخاصة من دول كالسودان ومصر إلى دول الخليج العربي أو الأعداد الكبيرة من المهاجرين من دول المغرب العربي إلى أوروبا فإن قضية احتمال عودة هؤلاء المهاجرين لم تنل اهتمام الباحثين الاجتماعيين عدا ما نجده في دول المغرب العربي حيث تواجه هذه الدول مشكلة ملحة حيث يتعرض أبنائها المهاجرون إلى أوروبا وخاصة في فرنسا إلى ضغوط تهدف إلى حمل الجاليات العربية إلى العودة إلى بلادهم .

ونرى الاهتمام في دول المغرب العربي منصباً على مناقشة المشكلات المترتبة على عودة المهاجرين من أوروبا ومواقف حكومات المغرب العربي من التعامل مع هذه المشكلة، وقد تكونت لجان من كل من الجزائر وتونس والمملكة المغربية لمناقشة قضية عودة المهاجرين وما يترتب عليها من مشكلات . (٢٨)

(٢٧) DaVanzo & Morrison, p. 34.

(٢٨) علي لبيب، «عمال المغرب العربي بأوروبا: العودة الصعبة»، «اجتماع خبراء حول سياسات =

غير أن مشكلة هجرة الإياب في الحقيقة لا تمثل مشكلة لدول المغرب العربي فقط وإنما لأي دولة عربية مصدرة للأيدي العاملة بشكل كبير كمصر والسودان. فقد بلغ عدد العاملين المصريين في دول الخليج والعراق والأردن ١,٩٥٩,٨٥٨ عاملاً كما بلغت تقادير إجمالي المدخرات لهؤلاء المهاجرين ٥٤٢٦ مليون دولار خلال عام ١٩٨٤م،^(٢٩) كما تمثل عائدات المهاجرين دوراً مهماً في الاقتصاد الوطني المصري «وقد أصبحت تحويلات المصريين في الخارج تمثل أكبر موارد النقد الأجنبي المتاح للاقتصاد القومي، والتي يمكن أن تحقق التوازن في الميزان التجاري بصورة مباشرة كما أنها من أهم مصادر عمليات الاستيراد من الخارج، ومن ثم فهي تعتبر من وجهة نظر الدولة أحد مرتكزات التنمية في مصر.^(٣٠) وترى الحاجة في مناقشتها لهيكل العمالة في الأقطار العربية المرسله أن هذه الدول تتسم بكثافة سكانية عالية وبمعدلات مرتفعة نسبياً للمشاركة الخام في النشاط الاقتصادي، يترتب عليها ضخامة نسبية لحجم قوة العمل بها وعلى الرغم من قصور قاعدة البيانات فإن التقديرات المتاحة تشير إلى أن قوة العمل في بلدان الإرسال الرئيسة — مصر، السودان، الأردن، سوريا، اليمن الشمالي واليمن الجنوبي — قد بلغت في منتصف السبعينات ما يربو على ٢٠ مليون عامل وارتفع متوسط معدل المشاركة الخام فيها إلى ما يقرب من ٣٠٪.»^(٣١)

إن عودة المهاجرين بشكل كبير ولأي سبب إلى موطنهم الأصلي سيؤدي إلى خلق مزيد من المشكلات وتضخيم ما تعانيه الدول المرسله من مشكلات البطالة والتضخم وما يترتب عليها من مشكلات اجتماعية وسكانية وسياسية.

- = الاستخدام وانتقال العمالة العربية (الكويت: المعهد العربي للتخطيط، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، ١٩٨٦م)، ص ٣٠٠-٣١٧.
- (٢٩) عبد اللطيف الهنيدي، «سياسات استخدام وانتقال الأيدي العاملة المصرية»، اجتماع خبراء حول سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية (الكويت: المعهد العربي للتخطيط، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، ١٩٨٦م)، جدول ٩.
- (٣٠) الهنيدي، سياسات، ص ٢٦١.
- (٣١) ليلي الخواجة، «سياسات استخدام وانتقال الأيدي العاملة العربية من بلدان الإرسال: مراجعة نقدية»، اجتماع خبراء حول سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية (الكويت: المعهد العربي للتخطيط، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، ١٩٨٦م)، ص ١٩١.

والواقع أن الدراسات المتخصصة في هجرة الإياب شحيحة في العالم العربي وحتى تلك الدراسات القليلة قد ركزت على زاوية ضيقة من هذه الظاهرة، وفي هذا الصدد يؤكد إبراهيم ومحبي الدين «يمثل هذا الموضوع أحد مجاهيل دراسة الهجرة من مصر إلى الدول العربية». (٣٢) ويذكران في موضع آخر «على الرغم من تصاعد الهجرة العائدة في السنوات الأخيرة وبالرغم من تأثيرها في أشكال الحراك كافة فإنها لم تدرس بشكل كاف، ومن المأمول ألا نجد أنفسنا في موقف مماثل فيما يتعلق بمعرفتنا عنها، كما حدث لظاهرة الهجرة التي تسارعت وتباطأت دون أن تدرس بشكل معمق». (٣٣)

ومن الدراسات التي تناولت موضوع هجرة الإياب دراسة معوض، وقد ركزت هذه الدراسة على الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لعودة العمالة المصرية من الأقطار النفطية، وقد تناولت هذه الدراسة بُعدين أساسيين من هذه القضية، البعد الأول ويتضمن الآثار الاجتماعية التي تركها عودة العمالة المصرية من الأقطار النفطية وقد حدد الباحث هذه الآثار فيما يلي؛ ١) توزيع الدخل في مصر: ويرى الكاتب بأنه على الرغم من الآثار الإيجابية لهجرة العمالة المصرية على رفع مستوى معيشة نسبة كبيرة من سكان مصر إلا أن لها آثاراً سلبية لعل أهمها هو تفاقم التفاوت الاجتماعي - الاقتصادي في المجتمع المصري؛ ٢) أخلاقيات العمل: ويرى الكاتب أن الهجرة إلى الدول النفطية تؤدي إلى تدهور وانحطاط أخلاقيات العمل والإنجاز في مصر نتيجة لانحطاط مهاراتهم ومحدودية ما يتطلبه العمل منهم في الدول المتقدمة؛ ٣) الاستهلاك المفرط: يرى الكاتب أن الاستهلاك المفرط ينتقل إلى المصريين العاملين في الدول النفطية عن طريق المحاكاة وينتقل من هؤلاء إلى قطاعات أخرى من المجتمع المصري والذي يؤدي إلى آثار سلبية على الاقتصاد المصري؛ ٤) المشكلات الأسرية: وتتمثل هذه المشكلة في أن كثيراً من العاملين في الدول النفطية يتركون أسرهم وتتولى الأم وحدها أعباء تربية الأبناء، كما نتج عن تلك الهجرة الكثير من المشكلات

(٣٢) سعد الدين إبراهيم ومحمد م. محبي الدين، «مراجعة نقدية لدراسات هجرة العمالة المصرية إلى الخارج»، المؤتمر الإقليمي؛ تنمية واستخدام وهجرة القوى البشرية، القاهرة، ٥ - ٧ ديسمبر ١٩٨٨م، ص ٤١.

(٣٣) إبراهيم ومحبي الدين، ص ٤٩.

الأسرية كارتفاع نسبة الطلاق؛ ٥) النمو الحضري في مصر: ويرى الكاتب أن هجرة العمال الريفيين إلى الدول النفطية وعملهم في المدن يخلق لديهم النزعة إلى البقاء في المدينة بعد العودة لاعتمادهم على أساليب الحياة الحضرية، مما يزيد من الضغوط على المرافق في المناطق الحضرية ويحرم الريف من العناصر المتعلمة مما يؤدي إلى عرقلة التنمية في الريف المصري؛ أما البعد الثاني والذي ركزت عليه دراسة معوض فهو أثر عودة المهاجرين على الاستقرار السياسي في مصر والذي يصفه الكاتب بالتعقيد والنسبية، حيث يؤكد صعوبة تحديد الآثار الإيجابية والسلبية لهذه العملية. (٣٤)

ومن أبرز الدراسات في مجال هجرة الإياب هي الدراسة التي أجراها الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة رصد أسباب العودة النهائية والتي تأتي في مقدمتها الأسباب العائلية حيث يعتبر هذا الدافع سبباً لعودة ٩, ٣١٪ من المهاجرين العائدين، يلي ذلك انتهاء فترة التعاقد حيث يمثل ذلك ٨, ٢٠٪، يلي ذلك تخفيض الرواتب والمزايا ٧, ١٦٪، ثم استغناء جهة العمل ٢, ١٢٪ وأخيراً الأسباب الصحية ٧, ٦٪. (٣٥) ومن النتائج المهمة التي تبرزها هذه الدراسة مدة الهجرة، حيث تشير إلى أن ٣, ١٨٪ عادوا إلى مصر قبل انصرام عام واحد ويمكن أن تصنف هذه الفئة من العائدين تحت إياب الفشل، ونجد أن أعلى نسبة للمهاجرين العائدين قد مكثوا عامًا واحدًا حيث تمثل هذه الفئة ٥, ٣١٪، يليها فئة المهاجرين الذي مكثوا لمدة عامين حيث تبلغ نسبة هؤلاء ٢, ١٨٪، وتقل هذه النسبة تدريجيًا. ومن الملاحظ من بيانات هذه الدراسة أن المهاجرين من الريف هم أكثر الفئات من المهاجرين العائدين الذين لم تمتد إقامتهم أكثر من عام واحد حيث تبلغ نسبتهم ٦, ٦٢٪ مقترنة بـ ٤, ٣٩٪ بين المهاجرين العائدين من أصل حضري. (٣٦)

(٣٤) جلال عبدالله معوض «الآثار الاجتماعية - السياسية لعودة العمالة المصرية من الأقطار النفطية»، مجلة التعاون، الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، س م ٤ ١٠ (أبريل ١٩٨٨م)، ص ص ١٠٩-١٢٢.

(٣٥) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، القاهرة، النتائج الأولية لبحث الأسرة المعيشية بالعينة، ١٩٨٨م، جدول ٢٩.

(٣٦) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، جدول ٤١. انظر أيضًا حسن شكري وإسماعيل =

ونظرة سريعة على الدراسات التي تناولت هجرة الإياب في الوطن العربي تؤكد أن معظم هذه الدراسات قد انحصرت في زاوية ضيقة - وإن تك مهمة جداً - وهي قضية هجرة العمالة العائدة، كما أن معظم الدراسات التي تناولت هجرة العمالة العائدة قد ركزت على الآثار الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة المرسلة، كما أن هذه الدراسات قد اتسمت بالطابع الوصفي فلا نجد فيها محاولات جادة للتحليل للوصول إلى تفسير لهذه الظاهرة. كما أن بعض الأبعاد المهمة لهجرة الإياب لم تدرس كهجرة الإياب الداخلية، وملاحظة أخرى على هذه الدراسات هي أنه بالرغم مما بذل فيها من جهد إلا أن معظمها قد أغفل الجوانب النظرية فلا نجد بينها ما يستند على أطر نظرية تساعد الباحث في رسم مساراته واتجاهاته، كما أن معظم هذه الدراسات لم تستفد من الدراسات السابقة التي أجريت في مجتمعات أخرى. وما كتب حول هذه الظاهرة من دراسات وبحوث رغم أهميتها يؤكد الحاجة الماسة إلى المزيد من البحوث والدراسات المتعمقة التي تكشف الكثير من أبعادها والتي لا تزال مجالاً بكرّاً للبحث والتقصي.

مجالات الدراسة لظاهرة هجرة الإياب

تمثل ظاهرة هجرة الإياب مجالاً خصباً وواسعاً للبحث والتقصي خاصة وأن الدراسات التي تناولتها محدودة جداً. وفي العالم العربي نجد هذه الظاهرة جديرة بالبحث والتقصي لا سيما ونحن نشهد حراكاً سكانياً سواء داخل الوطن العربي أو بين العالم العربي والدول الأخرى وسواء كانت هذه الدول مرسلة أو مستقبلة، فدول كدول المغرب العربي مصدر للهجرة إلى أوروبا ودول كمصر والسودان واليمن مصدر للهجرة لدول الخليج العربي، ودول الخليج العربي تستقطب الأعداد الكبيرة من دول آسيا كالفيليبين وأندونيسيا والهند. إلى جانب هجرة الإياب الدولية يمكن توجيه الاهتمام إلى هجرة الإياب الداخلية في العالم العربي. ودراسة مظاهر هجرة الإياب يمكن أن تفتح باباً للمعرفة جديداً وما يترتب عليه من توظيف لهذه المعرفة في مجال التخطيط والتنمية. هناك العديد من المجالات لدراسة هجرة الإياب والتي لا يزال معظمها غير مطروق يمكن للباحثين الاجتماعيين تقصيها وسبر

= عبدالكريم، «الهجرة المصرية العائدة وسياسات الهجرة»، «المؤتمر الإقليمي؛ تنمية واستخدام وهجرة القوى البشرية، القاهرة، ٥ - ٧ ديسمبر ١٩٨٨م.

غورها ولعل أهم هذه المجالات هو التعرف على حجم هذه الظاهرة في الوطن العربي، ومن المجالات المهمة مايلي:

- ١ - الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والشخصية للمهاجرين العائدين.
- ٢ - التعرف وتحديد العوامل التي تدفع بعض الأفراد إلى العودة إلى الأماكن التي سبق وأن هاجروا منها.
- ٣ - أنماط المهاجرين العائدين وأسس التنميط.
- ٤ - الفروق بين المهاجرين والعائدين والمهاجرين غير العائدين، والفروق بين المهاجرين العائدين وغير المهاجرين.
- ٥ - الآثار المترتبة على هجرة الإياب على المستوى الفردي من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.
- ٦ - الآثار المترتبة على هجرة الإياب على المستوى المجتمعي من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والديموغرافية سواء بالنسبة للمناطق المستقبلية أو المرسلات.
- ٧ - أثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المنطقة الأصلية والمنطقة المستقبلية على هجرة الإياب.
- ٨ - اختبار الأطر النظرية لهجرة الإياب.
- ٩ - هجرة إياب الأجيال.

الخلاصة

من هذا العرض السريع المختصر لشرح مفهوم هجرة الإياب ومحاولات تصنيفها وتفسيرها والإحاطة بمسبباتها ودوافعها ومن خلال استعراض الدراسات النظرية والبحوث الميدانية التي تناولت هذه الظاهرة، نخلص إلى أن هذا المجال البكر من مجالات الدراسات الاجتماعية لا يزال في حاجة لمزيد من البحث والتقصي بغرض الوصول إلى جوانب مهمة من ظاهرة الهجرة بصفة خاصة وفهم أدق وأعمق للحراك السكاني بوجه عام، كما أن النتائج المتمخضة عن مثل هذه البحوث يمكن أن توظف في التعامل الأمثل مع المشكلات المترتبة على هذا النوع من الحراك السكاني.

Return Migration: Its Explanation, Types, and Fields of Study

Ibrahim M. Al-Obiedy

*Assistant Professor, Department of Social Studies, College of Arts, King Saud University,
Riyadh, Saudi Arabia*

Abstract. The phenomenon of return migration as a distinct form of population mobility received little attention from social scientists compared to other types of migration, the main reason being the difficulty in obtaining satisfactory data. The purpose of this paper is to shed some light on the phenomenon of return migration; its explanation, types, and fields of studies, which indicate its importance and the need for more investigation.